**الحياة فى سبيل الله كالموت فى سبيل الله**

**بقلم / د احمد الصاوى**

**هناك تراث يرسخ مفهوم الموت فى سبيل الله فى مقابل تراث يؤكد على ان الانسان مأمور بإعمار الارض وترسيخ حياته من اجل هذا الهدف ونحن خلقنا للحياة ولكننا حولنا الى موت فغالب الخطاب الدينى متهم بأنه خطاب للآخرة لا للحياة الدنيا وأنه يجعل المخاطب به يعيش بين حالتين : حالة الماضى ( التراث ) وحالة المستقبل البعيد ( الدار الاخرة ) ولا يهتم بمشاكل الحاضر ولا العصر بل يشغل الناس عن واقعهم او حاضرهم بماضيهم البعيد او مستقبل البعيد**

**ثم ان غالبية الخطب والدروس الدينيه تتحدث عن الموت وتهمل الحياة انا اعلم ان الموت لابد منه والاستعداد له واجب ولكن قبل ان نموت علينا ان نعيش وقبل ان نرحل علينا ان نبنى ونعمر ونحقق الاستخلاف الالهى للبشرية فى عمارة الاكوان وقبل ان نودع الحياة علينا ان نترك اثرا جميلا**

**إن الحياة فى سبيل الله أعظم من الموت فى سبيله لان الحياة فى سبيله سبحانه طويلة فيها علم وعمل ومعتقد واخلاق وأخذ وعطاء ودنيا وآخره اما الموت فهو لحظة انتقال من الدنيا إلى الآخرة فالابرار على راسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بنوا الحياة واسسوا القيم والاخلاق وبنوا صروح المعرفة**

**ان الحياة فى سبيل الله رسالة عظيمة ربانية يتحول بها الانسان من الصفر الى رقم له قيمة فى الحياة والوجود الانسانى فيصبح العالم فرحا بطلابه وبنشره للعلم**

**ويصبح التاجر فرحا يأخذ ماله من حلال ويصرفه فى حلال ويصبح الفلاح مغردا لعلمه انه ماجور على عمله**

**إن الذى يفكر كيف يموت يقف إنتاجه وينتهى إبداعه ويموت نفعه**

**أما الذى يفكر كيف يعيش فسوف يشرق كما تشرق الشمس**

**والقرآن دعا إلى حياتين ومشهدين ومرحلتين الحياة فى سبيله , والموت فى سبيله**

**النحل 97**

**1 – روى ابن ماجه عن طلحة بن عبيد الله ان رجلين من بلى وهو حى من قضاعة قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان إسلامهما جميعا وكان احدهما اشد اجتهادا من الآخر فغزا المجتهد منهما فاستشهد ومكث الاخر بعده سنة ثم توفى واخر الاخر بعده سنة ثم مات فقال طلحة : فرأيت فى المنام الجنة فتحت فرأيت الاخر من الرجلين داخل الجنة قبل الاول فتعجبت بينا انا عند باب الجنة إذ انا بهما فخرج خارج من الجنة فأذن للذى توفى الاخر منهما ثم خرج فإذن للذى استشهد ثم رجع إلى فقال : ارجع فإنه لم يؤذن لك فاصبح طلحة يحدث الناس به فعجبوا لذلك فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثوه الحديث فقال : من أى ذلك تعجبون فقالوا : يارسول الله هذا كان اشد الرجلين اجتهادا ثم استشهد فى سبيل الله عز وجل ودخل الجنة قبله ؟ قال : " اليس قد مكث بعده سنة ؟ " قالوا : بلى قال : " وأدرك شهر رمضان فصامه ؟ " قالوا : بلى قال : " وصلى كذا وكذا سجده فى السنة ؟ - اليس قد صام رمضان بعده وصلى بعده سنة الف ركعة وكذا وكذا ركعة لصلاة سنته – " قالوا : بلى قال رسول الله صلى الله علىه وسلم " فلما بينهما أبعد مما بين السماء والارض "**

**قال السندى : وفى الحديث فضل طول الحياة مع الاعمال الصالحة فهذا الحيث يدل دلالة واضحة على أن الحياة فى سبيل الله أفضل من الموت فى سبيل الله فأنت بعملك فى سبيل الله قد تسبق الشهيج وقد تغلبه**

**2 – وعن ابن عباس – رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما من أيام العمل الصالح فيها أحب الى الله من هذه الايام " يعنى ايام العشر قالوا : يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشىْ "**

**3 – عن ابى صفوان عبد الله بن بسر الاسلمى – رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " خير الناس من طال عمره وحسن عمله**

**اما طول العمر فإنه من الله وليس للانسان فيه تصرف لان الاعمار بيد الله عز وجل وأما حسن العمل فإن بإمكان الانسان ان يحسن عمله لان الله تعالى جعل له عقل وانزل الكتب وارسل الرسل وبين المحجة واقام الحجة فكل انسان يستطيع ان يعمل عملا صالحا على ان الانسان اذا عمل عملا صالحا فإن النبى صلى الله عليه وسلم اخبر ان بعض الاعمال الصالحة سبب لطول العمر وذلك مثل صلة الرخم قال النبى صلى الله عليه وسلم " من احب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه " وصلة الرحم من اسباب طول العمر فإذا كان خير الناس من طال عمره وحسن عمله فإنه ينبغى للانسان أن يسأل الله دائما ان يجعله ممن طالعمره وحسن عمله من أجل يكون من خير الناس**

**وفى هذا دليل على ان مجرد طول العمر ليس خيرا للانسان إلا إذا احسن عمله لانه احيانا يكون طول العمر شرا للانسان وضررا عليه كما قال الله تبارك وتعالى ال عمران 178**

**فهؤلاء الكفار يملى لهم الله لهم – اى يمدهم بالرزق والعافية وطول العمر والبنين والزوجات لا لخير لهم ولكنه شر لهم – والعياذ بالله لانهم سوف يزدادون بذلك إثما**

**ومن ثم كره بعض العلماء أن يدعى للانسان بطول البقاء قال : لا تقل : اطال الله بقاءك إلا مقيدا قل أطال الله بقاءك على طاعته لان طول البقاء قد يكون شرا للانسان نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن طال عمره وحسن عمله وحسنت خاتمته وعافيته إنه جواد كريم**

**ولكن انواع هذه الاصول كثيرة جدا من اجل ان تتنوع للعباد الطاعات حتى لا يملوا لو كان الخير طريقا واحدا لمل الناس من ذلك وسئموا ولما حصل الابتلاء ولكن إذا تنوع كان ذلك أرفق بالناس ولأشد فى الابتلاء الانبياء 90**

**وهذا يدل على ان الخيرات ليست خيرا واحدا بل طرقا كثيرة والايات فى هذا كثيرة تدل على ان الخيرات ليست صنفا واحدا او فردا واحدا او جنسا واحدا**

**فمن الناس من تجده يألف الصلاة فتجده كثير الصلوات ومنهم من يألف قراءة القرآن فتجده كثير قراءة القرآن ومنهم من يألف الذكر والتسبيح والتحميد وما أشبه ذلك فتجده يفعل ذلك كثيرا ومنهم الكريم الطلبق اليد الذى يحب بذل المال فتجده دائما يتصدق ودائما ينفق على اهله ويوسع عليهم فى غير اسراف**

**ومنهم من يرغب العلم وطلب العلم الذى هو فى وقتنا هذا قد يكون افضل اعمال البدن لان الناس فى الوقت الحاضر فى عصرنا هذا محتاجون الى العلم الشرعى لغلبة الجهل وكثرة المتعالمين الذين يدعون انهم علماء وليس عندهم من العلم الا بضاعة مزجاة فنحن فى حاجة الى طلبة علم يكون عندهم علم راسخ ثابت مبنى على الكتاب والسنة من اجل ان يردوا هذه الفوضى التى اصبحت منتشرة فى القرى والبلدان والمدن كل انسان عنده حديث او حديثان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتصدى للفتيا ويتهاون بها**

**ولهذا نرى ان طلب العلم اليوم افضل الاعمال المتعدية للهلق افضل من الصدقة وافضل من الجهاد بل هو الجهاد فى الحقيقة لان الله سبحانه وتعالى جعله عديلا للجهاد فى سبيل الله وليس الجهاد الذى يشوبه ما يشوبه من الشبهات ويشك الناس فى صدق نية المجاهدين لا الجهاد الحقيقى الذى تعلم علم اليقين ان المحاهدين يجاهدون لتكون كلمة الله هى العليا فتجدهم مثلا يطبقون هذا المبدأ فى انفسهم قبل ان يجاهدوا غيرهم فالجهاد الحقيقى فى سبيل الله الذى يقاتل فيه المقاتلون لتكون كلمة الله هى العليا يعادله طلب العلم الشرعى ودليل ذلك قوله تعالى : التوبة 122**

**يعنى ماكانوا ليذهبوا الى الجهاد جميعا يعنى قعدت طائفة منهم**

**فجعل الله طلب العلم معادلا للجهاد فى سبيل الله الجهاد الحق الذى يعلم بقرائن الاحوال وحال المجاهدين انهم يريدون ان تكون كلمة الله هى العليا**

**3 – عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "مامن مسلم يغرس غرسا الا كان ماأكل منه له صدقة وما سرق من صدقة ولا يرزؤه احد إلا كان له صدقة**

**وفى رواية له " فلا يغرس المسلم غرسا – ولا يزرع زرعا – فيأكل منه انسان ولا دابة ولا طير الا كان له صدقة الى يوم القيامة "**

**4 – عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس : تعدل بين اثنين صدقة وتعين الرجل على دابته فتحمله عليها او ترفع عليها صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة وتميط الاذى عن الطريق صدقة**

**والسلامى هى العظام او مفاصل الغظام يعتى انه يصبح كل يوم على كل واحد من الناس صدقة فى كل عضو من اغضائه فى كل مفصل من مفاصله قالوا : والبدن فيه ثلاث مئة وستون مفصلا ما بين صغير وكبير فيصبح لى كل انسان كل يوم ثلاث مئة وستون صدقة " ويجزى من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى**

**5 – وعن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال " الخازن المسلم الامين الذى ينفذ ما أمر به قيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه الى الذى امر له به احد المتصدقين**

**وفى رواية " الذى يعطى ما أمر به وضبطوا ( المتصدقين ) بفتح القاف مع كسر النون على التثنية وعكسه على الجمع وكلاهما صحيح يعنى ان الخازن الذى جمع هذه الاوصاف الاربعة وهم الاول : المسلم الامين الذى ينفذ ما أمر به طيبة بها نفسه فهو مسلم احترازا من الكافر الوصف الثانى : الامين يعنى الذى ينفذ مااؤتمن عليه فحفظ المال ولم يفسده ولم يتعد فيه الوصف الثالث : الذى ينفذ ما أمر به يعنى بفعله لان من الناس من يكون امينا لكنه متكاسل فهذا امين ومنفذ يفعل ما أمر به فيجمع بين القوة والامانة الوصف الرابع : ان تكون طيبة به نفسه اذا نفذ واعطى ما أمر به اعطاه وهو طيبة به نفسه يعنى لا يمن على المعطى او يظهر ان فضله عليه بل يعطيه طيبة به نفسه هذا يكون احد المتصدقين مع انه لم يدفع من ماله فلسا واحدا ففى الحديث دليل على فضل الامانة وعلى ان التعاون على البر والتقوى يكتب لمن اعان مثل مايكتب لمن فعل وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء**

**6 – وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له**

**7 – فضل العلم والدعوة الى الله**

**فالناس بلا دعوة ايتام لا يعرفون حلالا ولا حراما ولا صلاة ولا صياما ولا سننا ولا احكاما فالدعوة لرئة الاحياء هواء ولكبد الدنيا ماء ولذلك ارسل الله الانبياء وخط فى اللوح ما شاء**

**ولهذا ينبغى للانسان ان يأخذ من حياته مادام الله قد احياه لموته اذا عجز عن العمل لان النبى صلى الله عليه وسلم قال " إذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جاريه او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له فخذ من حياتك لموتك**

**وعن عائشة رضى الله عنها ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم " إن امى افتلت نفسها وأراها لو تكلمت تصدقت فهل لها من اجر ان تصدقت عنها قال : نعم ( متفق عليه ) فدل ذلك على جواز الصدقة على الميت فتنوى اذا اردت ان تتصدق ان هذه عن امك عن ابيك عن اخيك عن اختك عن اى انسان مسلم ميت فإن ذلك ينفعه**

**وفيه دليل ايضا لفضل الحى على الميت لانه قادر على ان يعمل لنفسه ولغيره واما الدعاء للميت ففى حديث ابى هريرة اذا مات الانسان انقطع عمله لان دار العمل هى دار الدنيا فإذا مات انتهى فليس هناك عمل بعد الموت اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة حارية يعنى هو نفسه يضع وقفا عقارا اى شىء للفقراء – او علم ينتفع به – يعتى من بعده – او ولد صالح يدعوا له – لان غير الصالخ لا يدعوا لوالديه ولا يبرهما لكن الصالح هو الذى يدعوا لوالديه بعد موتهما – ولهذا يتأكد علينا ان نحرص غاية الحرص على صلاح اولادنا لان صلاحهم صلاح لهم وخير لنا حيث يدعون لنا بعد الموت وافضل هذه الثلاثة العلم الذى ينتفع به واضرب لكم مثلا بل امثالا كثيرة نذكر منها : سيدنا ابو هريرة صلى الله عليه وسلم من افقه الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسقط احيانا على الارض من شدة الجوع ومع ذلك اكثر المسلمين الان لا يقرءةن الا روايته فهو الذى نقل لنا هذه الاحاديث وهى صدقة جارية اذا ما قورنت باى صدقات اخرى فى عهده**

**وكذلك نستطيع ان نقول ان الامام احمد بن حنبل وحجة الاسلام الغزالى مازالا يعلمان الناس وهمل قبورهما لان كتبهما بين ايدينا نتعلم منها إذن العلم انفع الثلاثة فالصدقة الجارية قد تتعثر والولد الصالح قد يموت لكن العلم النافع الذى ينتفع به المسلمون باق الى ما شاء الله فاحرص اخى على العلم فهو لا يعدله شىء كما قال الامام احمد لمن صحت نيته فاحرص على العلم الشرعى وعلى مساعداته كالنحو وما اشبه ذلك حتى ينفعك الله وينفع بك والله الموفق**

**والدعوة هى الجهاد الذى لا يسقط ابدا وما عداه فرع عليه والعجز فى غيره اكثر منه فيه بل قال ابن القيم ايضا " فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار وهو جهاد خواص الامة وورثة الرسل والقائمون به افراد فى العالم والمشاركون فيه والمعاونون عليه وان كانوا هم الاقلين عدد فهم الاعظمون عند الله قدرا "**

**وهل يجاهد الدعوة الا العلماء ؟ وهل يجاهد هؤلاء الا بالدعوة ؟**

**وقال ايضا " والجهاد بالحجة واللسان مقدم على الجهاد بالسيف والسنان " اضيف كلام الامام الاخر الذى وجد لذة العيش فى الحياة فأصبحت حياته كلها لله وفى الله ومع الله وصار محبوبا بين العالمين لاخلاصه – نحسبه كذلك – فلهج بعد طول المدة التى قضاها بحياة سعيدة قائلا " الحياة فى سبيل الله اصعب من الموت فى سبيله " ما أخصر هذه العبارة ولكن ما ابلغها لمن تأمل فيها**

**الحياة فى سبيل الله**

**فحياة الانبياء كانت حياة فى سبيل الله فها هو زكريا عليه السلام يسأ ربه قائلا ( ال عمران 38 فاستجاب الله دعائه فوهبه ماسأل بل وشرفه بأن سمى له الموهوب فاختار له من خير الاسماء ( يحيى ) ( وربك يخلق ما يشاء ويختار ) القصص 68**

**ويحيى من الحياة التى خلق الله سبحانه العباد ليقضوها فى طاغته والسير على شرعته والحياة كلمة تطمئن لها القلوب والسير على شرعته ولقد جبل الله تعالى الخلق على حب الحياة والحرص عليها والكفاح من اجل البقاء فيها فما فى الكون احد – غير مخبول هقله او منتكس فى فطرته 0 الا ويسعى جاهدا للحفاظ على حيانه فالوحوش فى فلواتها وغاباتها والطيور فى فضائها والاسماك فى بحارها تدافع الموت وتصارعه وما وجد حى الا وهو ذو حرص على الحياة**

**ومن تعجل الموت حرم الله عليه الجنة قال الله تعالى فى الحديث القدسى فيمن قتل نفسه :بادرنى عبدى بنفسه ؟ حرمت عليه الجنة " ولكن الحياة فى سبيل الله الحياة التى يقول الله تعالى فيها لنبيه صلى الله عليه وسلم ( انها الحياة التى يعيش الانسان لحظاتها لله ومن اجل الله وفى طاعة الله (**

**الروم 17 و 18 ان الحياة فى سبيل الله اصدق وصف يمكن ان تصف به حياة الرعيل الاول من الصحابة الكرام ولنأخذ ابا بكر الصديق رضى الله عنه مثالا**

**فقد سال النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه يوما قائلا " من اصبح منكم اليوم صائما ؟ قال ابو بكر رضى الله عنه انا قال فمن تبع منكم اليو جنازة قال ابو بكررضى الله عنه انا قال فمن اطعم منكم مسكينا قال ابو بكر رضى الله عنه انا قال فمن عاد منكم اليوم مريضا قال ابو بكر رضى الله عنه انا**

**فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما احتمعن فى امرىء الا دخل الجنة**

**وخناك ملحوظ احر وهو سؤال النبى صلى الله عليه وسلك الذى يدل على تتبعه حل اصحابه حتى يطمئن على كونهم يعيشون الحياة فى سبيل الله**

**ان حياة مليئة بالعطاء كحياة هؤلاء لا شك انها حياة سعيدة كيف لا والله تعالى يقول ( فمن انبع هداى فلا يضل ولا يشقى ) طه 123**

**وقال الله تعالى ( ) النحل 79**

**تلكم الحياة جعلت احد السلف يقول " لو يعلم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف**

**والحياة ان لكم تكن لله فهى فارغة المعنى والمحتوى قال الله تعالى – ذاما اليهود ( )**

**فاليهود احرص الناس على اى نوع من الحياة حياة ذل وانكسار وصغار حياة عربدة وفجور وتهتك حياة غفلة وإعراض حياة ايا كانت تلك الحياة فهم عليها حريصون وايا طانت تلك الحياة فهم عليها خريصون واما المؤمن فحرصه على نوع واحد من الحياة وهى الحياة فى سبيل الله**